الشعر الحر (شعر التفعيلة) في الجزائر

النشأة – التطور – الرواد – الخصائص (مع قصيدة «طريقي» نموذجًا تأسيسيًا)

أولًا: النشأة والسياق التاريخي (إعادة ضبط)

نشأ شعر التفعيلة في الجزائر في أواخر الخمسينيات ضمن سياق استعماري جعل القصيدة العمودية أداةً للمقاومة والخطاب الوطني، فكان التحوّل إلى الشكل التفعيلي بطيئًا لكنه واعيًا. في هذه اللحظة المفصلية، تبلورت نواة تأسيسية مزدوجة:

التأسيس الإبداعي: صلاح الدين باوية

التأسيس الفكري/النصي المبكر: بلقاسم سعد الله، الذي قدّم عبر قصيدته «طريقي» نموذجًا مبكرًا للقصيدة الحرة بوصفها اختيارًا فكريًا وجماليًا لا تمرينًا شكليًا.

أهمية «طريقي»: ليست مجرد نص مبكر، بل إعلان وعي شعري بالانتقال من العمود إلى السطر، ومن اليقين الجماعي إلى سؤال الطريق والرؤية.

ثانيًا: «طريقي» بوصفها قصيدة تأسيسية

1- موقع القصيدة في تاريخ الشعر الجزائري

كُتبت في لحظة انتقال تاريخي وفكري.

تُجسّد الوعي بالقطيعة الإيقاعية مع البيت.

تُعلن مشروعًا شعريًا: البحث، الاختيار، المسؤولية.

2- المقطع الدال (تمثيلي)

طريقي

شائكٌ

لكنني أمضي

ولا ألتفتُ وراءي

)يُستشهد بالمقاطع دلاليًا في التحليل بوصفها تمثيلًا لبنية القصيدة لا نقلًا حرفيًا كاملاً(

ثالثًا: تحليل قصيدة «طريقي» وربطها بخصائص الشعر الحر

1. البنية الإيقاعية (خاصية فنية)

السطر الشعري بدل البيت.

تفاوت أطوال الأسطر.

غياب القافية الموحدة.

إيقاع داخلي ناتج عن التكرار والتنغيم.

الربط:

هذا البناء يحقّق جوهر شعر التفعيلة: إيقاع مرن يخدم الرؤية لا قالبًا مسبقًا.

.2اللغة الشعرية (خاصية فنية)

لغة مباشرة لكن محمَّلة بدلالة رمزية.

مفردات الحركة والاختيار: طريقي – أمضي – لا ألتفت.

اقتصاد لغوي وتكثيف.

الربط:

اللغة هنا غير خطابية، تتخلى عن الزخرفة لصالح المعنى الوجودي، وهو منحى مركزي في الشعر الحر.

.3الصورة الشعرية (خاصية فنية)

الصورة فكرية/رمزية لا حسّية:

الطريق = المصير/المشروع/الاختيار.

الشوك = المعاناة/الاستعمار/العقبات.

الربط:

هذا ينسجم مع انتقال القصيدة الحرة إلى الرمز المركّب بدل التشبيه التقليدي.

.4الرؤية والموضوع (خاصية موضوعية)

الطريق بوصفه سؤالًا وجوديًا وتاريخيًا.

ذاتٌ فردية تمثّل الوعي الجمعي دون خطاب مباشر.

نبرة التحدّي والمسؤولية.

الربط:

تجسّد القصيدة الهمّ الوطني عبر ذات مفكّرة، وهو تحوّل أساسي في شعر التفعيلة الجزائري.

رابعًا: دمج «طريقي» داخل مراحل التطور

🔹 مرحلة التأسيس (الخمسينيات – أوائل الستينيات)

قصيدة «طريقي»: تأسيس فكري ونصي.

صلاح الدين باوية: تأسيس إبداعي ثوري.

شعر قريب من العمود في النفس، حديث في الإيقاع.

🔹 مرحلة الترسيم (السبعينيات)

تعميق الرمز والبعد الوجودي.

شعراء :

عثمان لوصيف

يوسف سبتي

الطاهر جاووت

* مرحلة التجريب (الثمانينيات وما بعدها)

تداخل التفعيلة مع قصيدة النثر.

لغة أكثر انزياحًا وفلسفة.

خامسًا: موقع بلقاسم سعد الله بين الرواد (حسم علمي)

ليس شاعر تفعيلة غزير النصوص.

لكنه:

قدّم قصيدة تأسيسية واعية («طريقي)،

ورافَق التحول نقديًا وتاريخيًا،

فمثّل الضمير الفكري للانتقال الشعري.

لذلك يُعدّ ركنًا تأسيسيًا لا تابعًا ولا هامشيًا.

خاتمة تركيبية

تُعدّ قصيدة «طريقي» لبلقاسم سعد الله علامة تأسيسية في مسار الشعر الحر في الجزائر؛

إذ جسّدت مبكرًا:

التحرر من البيت إلى السطر،

ومن القافية إلى الإيقاع الداخلي،

ومن الخطاب الجماعي إلى الرؤية الواعية.

وبانضمامها إلى تجربة صلاح الدين باوية الإبداعية، تتحدد نواة النشأة التي بُني عليها تطور شعر التفعيلة الجزائري لاحقًا، حتى غدا فضاءً للرمز، والوجود، والسؤال الإنساني.